

دون فائدة . ولم يمل . لن ادور بالساقية حولها . لماذا أبقيتها في أرضي واقتل أرضا أخرى بالساقية ؟ «(١) .

وتتضح دلالة الرمز حينما يقول : « آه لو كنت شابا . وتذكر الصخرة . لو كنت شابا لرفعت الصخرة . لكنني سأرفعها . هذه الصخرة ضربت شروثها في الأرض لأنها تركت هناك منذ زمن طويل جاءت من مكان ما . سقطت ، ربما ، من الجبل ثم ساعدها اهمالنا لها على ان تصبح قسما من الأرض وعلى ان تعذبني نهارا كاملا »(٢) .

فالصخرة اذن غريبة عن الأرض ، وأصبحت جزءا من الأرض لاهمال أصحاب الأرض ، تماما كالوجود الصهيوني ، الذي تسلل الى فلسطين وساعد اهمال الشعب العربي على رسوخه في الأرض واستيلائه عليها . وفي ( المزامير ) رمز يقترب من الصورة السالفة يرينا كيف تسلل اليهود الى فلسطين .

« وساد الصمت ، مرة أخرى ، تذكرنا راثسيل .. جاءت منذ ثلاثة أعوام مع اسرتها ، واقاموا في طرف المدينة يصنعون السلال لاصحاب البيارات . ثم مضت الايام ، أقاموا محلا لبيع الحلوى للاطفال ومشروبات للكبار . وانضم اليهم اخرون ، وتاجروا في أشياء كثيرة منها ما يباع همسا لا نسمعه نحن الصغار ، وسرعان ما أصبحوا أغنياء يملكون بيارا وسيارة وخمارة »(٣) . (فراشيل ) اسمها واضح الدلالة كرمز لليهود ، وامتلاكهم للبيارة والسيارة والخمارة ، دليل على صورة الاهمال التي لقيها اليهود في بداية تسللهم الى فلسطين واستيلائهم على أراضيها .

ونلتقي بصورة رمزية لتسللهم الى فلسطين في رواية (الكابوس) التي تعتبرهم غرباء كما كانت الصخرة غريبة عن الأرض في رواية (الابتر ) « لقد ظهر هذا الرجل في أزقة قريتنا فجأة . لا نعرف من أين جاء ولا نعرف ماذا يفعل في وجه التحديد . ولا نعرف لماذا سكت عنه الشيخ الكبير ولم يطرده ، حتى الآن ، كما كان الناس يتوقعون . »

أغلب الظن ان هذا الرجل الغريب قدم من وراء الجبل ، فهو وان كان يتكلم بلساننا ويتقن لهجتنا الا انه ليس منا . يزعم ان اسمه موسى . لكن ما اسم ابيه ؟ وما اسم جده ؟ ولماذا لا يعرف المستنون من أهل القرية أباه وجده ، اذا كان ما يزعمه حقا من أنه من مواليد قريتنا ويسافر مهاجرا منها ثم عاد ، لا . لا . انه كاذب . وروايته هذه مختلقة ، كي يندس بها بين الناس «(٤) .

فالرجل الغريب — موسى — هو اليهودي .. واسمه يحوي دلالة بيئية ، وهو غريب عن هذه الأرض التي يدعي ان له حقا تاريخيا بها .

وفي رواية (الابتر ) نلتقي برمز دال على انبثاق فجر جديد للحياة من خلال الموت نفسه كما يقول العجوز في الابتر : « كان عليهم ان يعيشوا قدر ما عشت ليعرفوا الحياة على حقيقتها .. ليعرفوا كيف جاءت ثلجة الاربعين فلم تترك أخضر على وجه الأرض وكيف نما الشجر من جديد . المهم ان الجذور كانت ما تزال في التربة »(٥) .

ويتحدث (ممدوح عدوان ) عن الأمل في الانتصار يوما ما . حيث ان الحياة تخرج من حضن الموت . وان الموسم المحروق يصبح سمادا يخصب الأرض : « ان الأرض المدللة مقهورة ، وانها تلبس الحداد ، التراب باق لن يستطيعوا احراق التراب ، هذا الموسم المحروق سيصبح سمادا وستصبح الأرض أكثر خصبا »(٦) .

وسبق « حلیم بركات » ( ممدوح عدوان ) في استخدام الرمز نفسه حينما يتحدث حلیم بركات عن البلدة المحترقة التي تصبح رمادا ، وكل من الرماد عند حلیم بركات ،